بنيّة الجملة بين "الجرجاني" و"دي سوسير" "وعبد الرّحمن الحاج صالح"
–نموذج عن تقاطع الدّرس اللسانيّ الغربيّ والعربيّ القديم والحديث–

Structure of the sentence between Al–Jorjani, de Saussure and Abderrahmane Hadj Saleh
A model of the intersection of ancient and modern Western and Arabic linguistics courses

د. شتوح خضرة‡

تاريخ الاستلام: 2021.05.25 تاريخ القبــول: 2021.07.14

ملخّص: إنّ قضايا الفكر اللساني العربي عديدة وعميقة وواسعة، قد تجسّدت في مسائل لغويّة كثيرة اندرجت ضمن مجالات صوتيّة وتركيبيّة وبلاغيّة وتداوليّة، إذ مثّلت هذه الجهود الجذور اللسانيّة في التّراث العربي، وتجلى ذلك في جهود كل من "الخليل بن أحمد الفراهيدي" و"ابن جني" و"عبد القاهر الجرجاني" وغيرهم وتعدّ جهودهم منارة إشعاع فكري ولغوي.ولقد اطلع اللغويون الغربيون على الجهود العربيّة القديمة وتأثروا بها واستفادوا منها في تأسيسهم لنظرياتهم اللسانيّة ودفعوا بعجلة تطوّر البحث اللساني العربي، أبرزها المنهج الوصفي البنيوي لـ "دي سوسير" صاحب النّظريّة الثّنائيّة البنيويّة.

والسّؤال المطروح اليوم ما واقع الدّرس اللساني العربي بين الأمس واليوم وبين العرب والغرب؟ إنّ ضرورة إحياء التّراث اللساني اللغوي العربي واستنطاق ما فيه من الكوامن المتعلّقة بالدّرس اللساني تستوجب دراسة النّظريات اللغويّة الحديثة وبالتّالي معرفة وزن

‡جامعة محمّد بوضياف المسيلة، الجزائر، البريد الإلكتروني: khadra.chettouh@univ–msila.dz (المؤلّف المرسل).

الدّرس اللساني العربي. ونهدف من خلال هذه المداخلة –متبعين المنهج الوصفي التّحليلي في الدّراسة –أن نتطرق إلى:

•دراسة ووصف بنيّة الجملة عند كل من "الجرجاني" صاحب "نظريّة النّظم" من خلال كتابه "دلائل الاعجاز" و"دي سوسير" صاحب "النّظريّة البنيويّة" من خلال "كتابه محاضرات في الالسّنيّة العامّة" والدّكتور "عبد الرّحمن الحاج صالح" رائد اللسانيات الحديثة في الجزائر، مؤسّس المشروع اللساني "النّظريّة الخليليّة الحديثة."

•محاولة رصد الظّواهر اللسانيّة قديما وحديثا (موازنة).

•ما وزن الدّرس العربي القديم في ضوء الدّرس اللساني الحديث؟

وما عقبات الباحث اللساني العربي الحديث؟ وما هي الحلول المقترحة لذلك؟

كلمات مفتاحيّة: بنيّة الجملة، الجرجاني، دوسوسير، عبد الرّحمان الحاج صالح الدّرس اللساني.

Abstract: The questions of Arabic linguistic thoughts are numerous, deep and vast. They have been embodied in many linguistic questions which fall within the phonemic, structural, rhetorical and pragmatic domains. These efforts represented the linguistic roots of the Arab heritage, and this was evident in the efforts of "Al Khalil Ibn Ahmed Al Farahidi", "Ibn Jenni" Abdelqaher al-Jorjani and others. Their efforts are considered as a source of intellectual and linguistic influence.

Western linguists were aware of the ancient Arabs efforts, by which they were influenced, they took the opportunity to establish their linguistic theories and developed the Arabic linguistic researches particularly the structural descriptive approach of "De

Saussure" the founder of the binary structural theory. The question we would to ask today is: What is the reality of the Arabic linguistics course between yesterday and today, between the Arabs and the West.

The need to resuscitate the Arabic linguistic heritage and to explore its potential linked to linguistics course, requires the initiation of studies on modern linguistic theories, and therefore the recognition of the contribution of the Arabs linguistics course.

Through this intervention, within a descriptive and analytical approach in the study, we aim:

* to study and description of the structure of sentences in Al-Jorjani author of « systems theory» in his « Evidence of Miracles» and De Saussure the author of «Structural Theory» in his «General Linguistics Courses » and Dr "Abderrahmane Hadj Saleh" the pioneer of modern linguistics in Algeria, founder of the linguistic project of «Modern Theory Al Khalilia».

* to attempt to follow linguistic manifestations, in the past and the present (balance).

* What is the weight of the ancient Arabic linguistics course in the light of the modern linguistics course?

* What are the obstacles facing the Arab researcher in modern linguistics? And what are the suggested solutions in this regard?

Keywords: structure, sentence, Al-Jorjani, De Saussure, Abderrahmane Hadj Saleh, linguistics course

1- المقدّمة: تعدّ اللغة بنيّة متكاملة وفق مستويات التّحليل اللساني (الصّوتي التّركيبي،- النّحوي والصّرفي-، الدّلالي)، وتندرج هذه البنيّة في اطار نموذجي بسيط ومركب يعرف بالجملة التي هي محور الدّراسات اللغويّة قديما وحديثا، فقد تطرق إليها عبد القاهر الجرجاني وأضفى عليها جهوده وحدد معالمها وفق نظريّة النّظم، هذا من جهة كما تطرق إليها من اللغويين الغربيين أب اللسانيات الحديثة "فرديناند دي سوسير" وركز على البعد الدّاخلي والخارجي للغة ونجد أيضا الدّكتور "عبد الرّحمان الحاج صالح" الذي اهتم بالجملة فيما تطرق إليه من خلال النّظريّة الخليليّة الحديثة.

ونهدف من خلال هذه الدّراسة إلى تبيان حدود الالتّقاء بين هذه الجهود وفق منهج وصفي تحليلي، فما مفهوم البنيّة والجملة والنّظم وما حدود بنيّة نظم الجملة عندهم؟

2-مفهوم البنيّ:

2-1 البنيّة لغة: إنّ لفظة البنيّة شائعة الاستعمال في اللغة العربيّة منذ القديم وقد وردت في مصادر اللغة والأدب بدلالات عديدة، غير أنّ المعنى الشّائع هو البناء والمعمار، وقد وردت في "لسان العرب" بهذا المعنى حيث جاء في مادة "بنى : "

"والبنية والبنية: ما بنيته وهو البِنى والبُنى...، يقول الجوهري: والبُنى بالضّم مقصور مثل البِنى : بُنيّة وبِنًى بكسر الباء مقصور... سمي بناء من حيث كان البناء لازما موضعا لا يزول من مكان إلى غيره " (ابن منظور، 1992، ص94)

وقال ابن منظور (ت 711هـ): " والبنيُ: نقيض الهدم، بنى البناء البناء بنياً وبناء وبنى مقصور، وبنياناً وبنيّة وبناية، وابتناه وبناه " (ابن منظور، 1992 ص93)

إنّ لفظة بنيّة ثلاثيّة الأصل، وهي من "بنى" أو "بنا"، غير أنّ الأصل الأوّل هو الأكثر استعمالا وشيوعا من الأصل الثّاني الذي قيل في كلام العرب، كما ذكر صاحب "لسان العرب" (ابن منظور، 1992، ص94) ولفظة بنيّة تعني "الهيئة التي يبنى عليها" (فضل صلاح، د ت، ص293) أمّا لفظة "مبنى" فهي مرادفة للفظة "بنيّة" عند أهل اللسان العربي، على أساس تفريقهم بين المعنى والمبنى" (زكريا إبراهيم، دت، ص32).

ممّا تقدّم فإن البنيّة لغة تحمل دلالة: "البناء" و"المعمار" و"التّشييد ."

2-2 البنيّة اصطلاحا: لقد انتقلت لفظة "بنيّة" في الفكر المعاصر من دلالتّها اللغويّة إلى دلالة، إن لم نقل دلالات اصطلاحيّة، للتعبير عن هيكل الشّيء، أي للحديث عن الأجزاء التي تشكل هذا الهيكل بوصفه بناء يمكن أن يحلل إلى أجزائه الأوليّة وبنيّة هذا الشّيء ونظامه هما اللذان يؤكدان وجوده ما دام جوهر الشّيء هو وجوده، كما يقول عبد السّلام المسدي (المسدي عبد السّلام، 1986، ص129).

البنيّة تعني، إذن، تركيب الشّيء من أجزاء على شكل معين يحدده الشّخص حسب تصوّره لهذا الشّيء بالذّات، بناء على رؤيّة محدّدة. غير أنّ نظرة كل واحد إلى ذات الشّيء تختلف من شخص إلى آخر، حسب رواية كل واحد، لأنّ هذه البنيّة، أو هذا التّركيب يخضع إلى نظام أو قانون يتجلى دوره في تنظيم وتفسير تكوين الأشياء وإدراكها (زكريا إبراهيم، د ت، ص8).

ولفظة بنيّة لها قرائن عديدة، فقديماً نجد "الجاحظ" و"ابن رشيق" قد وظفاها بمعنى النّسج: "وأهل صناعة الشّعر، أبصر به من العلماء بالته من نحو غريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك... وقد يميز الشّعر من لا يقوله، كالبزاز يميز من الثّياب ما لم ينسجه..." (إحسان عباس، 1978، ص445).

وعموما لم يذكر علماء اللغة مصطلح البنيّة، وإنّما ربطوه بالكلام، وبنظمه، حيث يقول "أبو هلال العسكري (العسكري أبو هلال، دت، ص75) (ت 400هـ): تأخير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب النّتام الكلام، وهو أحسن نعوته وأزين صفاته فإن أمكن مع ذلك منظوما من حروف سهلة المخارج، كان أحسن له وأدعى للقلوب إليه، وإن اتفق له أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أليق بموقعه وأحق بالمقام والحال، كان جامعاً للحسن بارعا في الفضل، وإن بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبيك عن مصادره وأوّله يكشف عن آخره، كان قد جمع نهاية.

ممّا سبق، نخلص إلى أن النّحاة القدامى – وعلى رأسهم «الجرجاني» – قد عرفوا مفهوم البنيّة، ولكنّهم وظفوا مصطلحات للدلالة على بنيّة الكلام وهي: النّظم، التّركيب التّأليف، التّرتيب، التّعليق والبناء.

3-.مفهوم الجملة:

3-1 الجملة في اللغة: جاء في مادة (ج.م.ل) في المعاجم العربيّة؛ إذ ورد في لسان العرب الجملة الواحدة الجّمل، ومعناها يدور حول الجمع «الجملة جماعة الشّيء وأجمل الشّيء، جمعه عن تفرقة، وأجمل له الحساب كذلك» (ابن منظور، 1992 ص205) وهذا الجمع يشمل كل ما هو مادي وغيره «والجملة جماعة كل شيء بكامله من الحساب وغيره، قال الله تعالى﴿ **وَقَالَ الذينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآن جُمْلَة وَاحِدَة**﴾[سورة الفرقان: الآية 32].

وما يقصد بالجملة في "المعجم الوسيط" هو الجمع أيضا «جمل الشّيء جملا، جمعه عن تفرق الجُمَلُ، والجُملُ، الحبل الغليظ» (مجمع اللغة العربيّة، 1989، ص136) ويقال: «الجُمَلُ والجُملُ والجُمُل ودلالتّها: الجبل الغليظ والجماعة من النّاس (المنجد في اللغة والأعلام، 1991، ص102)، والجملة جماعة من كل شيء، ويقال: أخذ الشّيء جمله وباعه متجمعا لا متفرّقا» (المعجم الوسيط، دت، ص136).

والفعل " جملت فيفيد معنى الجمع والتّوحيد ومن ذلك: جملت الشّحم بمعنى صهرته وأذبته (الأصفهاني الرّاغب، د ت، ص98).

نخلص إلى أنّ الجملة لغة تفيد "الجمع" و"الإجمال" لما تفرق. (أبو محمّد عبد الله جمال الدّين، د ت، ص30).

3-2 الجملة في الاصطلاح عند القدامى:

3-2-1 الجملة عند النّحاة واللغويّين: لاحظ المتصفح لتراث العرب من النّحويين أنّ مصطلح "الكلام" يدل على الجملة، نذكر فمثلا " (ت 180هـ): لم يوظف مصطلح الجملة، بل استعمل مصطلح الكلام للدلالة على مفهومها، هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح. وما هو محال كذب، ويمثل لذلك بما يلي: الحسن فقولك أتيت أمس وسآتيك غدا، وأمّا المحال فإنك تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا وسآتيك أمس (سيبويه،1983 ص25-26) كما استعمل مصطلح الكلام في أبواب ومواضع عدة في كتابه "الكتاب".

أمّا المبرد (ت 285هـ) فهو أوّل من استعمل مصطلح الجملة، أثناء حديثه عن "ما" فقال: «أمّا قولنا بمنزلة أجنبي، فإنّك إذا قلت: ما زيد مطلقا، ولا قائم أبوه، فهو كذلك: ولا قائم عمرو لأنّك عطفت جملة عن جملة فاستوى ماله سبب وما لا سبب له» (المبرد المقتضب، د ت، ص03).

كما استخدم مصطلح الجملة أيضا في سياق حديثه عن الفاعل «إنّما كان رفعا لأنّه هو والفعل جملة يحسن السّكوت عليه وتجب بها الفائدة للمخاطب» (المبرد المقتضب دت، ص3).

وقد تطرّق إلى مفهوم الجملة ودراستها كل من الزّجاجي وابن جني والزّمخشري وابن يعيش وابن مالك وابن عقيل وابن هشام.

3-2-2 الجملة عند البلاغيّين القدامى: لم يختلف الأمر عند البلاغيين عن النّحويين في عدم تفريقهم بين الكلام والجملة.

نذكر مثلا "عبد القاهر الجرجاني " (ت 471هـ) فلم يفصل بين الكلام والجملة قال: «من حيث دخل في الكلام معنا يربط إحداهما بالأخرى، حتى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفرد في امتناع أن تحصل به الفائدة فلو قلت : "زيد" وسكت فلم تذكر اسما آخرا ولا فعلا ولا كان منويا في النّفس معلوما من دليل الحال»(الجرجاني عبد القاهر، د ت، ص89) ويقول في دلائل الإعجاز:«... وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النّفس وضعا واحدا، وأن يكون حالتك فيها حال الباني يضع بيمينه في حال ما يضع بيساره هناك»(الجرجاني عبد القاهر، 1991، ص102).

ويقول أيضا: «... وثبت أنّ المفهوم بمجموع الكلم معنى واحد لا عدة معاني، وهو إثباتك زيدا فاعلا ضربا لعمرو في وقت كذا وعلى صفة كذا ولهذا المعنى نقول أنّه كلام واحد» (حسن عباس، 1983، ص156).

3-3-الجملة عند اللغويّين العرب المحدثين: استخدم النّحاة العرب المحدثون مصطلح الكلام وجعلوه مرادفا لمصطلح الجملة، شأنهم في ذلك شأن القدامى.

يقول "حسن عباس " أنّ الكلام أو الجملة هو ما تركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل ويقرّر أنّ الجملة الخبريّة إذا وقعت صلة الموصول أو نعتاً أو حالاً

أو تابعة لشيء آخر كجملة الشّرط لا جوابه، فإنّها لا تسمى جملة خبريّة، إذ لا يكون فيها مستقل بالسّلب أو الايجاب تنفرد به ويقتصر عليها وحدها بل هي لذلك لا تسمى كلاما وجملة. (عبادة محمّد إبراهيم،1988، ص30).

ونجده يطابق بين الكلام والجملة، ويؤكد على أن يكون في الجملة مستقلاً معنويا فإذا كان المركب الاسنادي يتكون من فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر، يمثل عنصرا في تركيب لغوي أطول لا يسمّى جملة .

ويرى الدّكتور "محمّد ابراهيم عبادة" أنّ هذا التّعريف يوافق تعريف "بلومفيد" للجملة: «أنّها الشّكل اللغوي المستقل الذي لا يكون متضمنا في تركيب نحوي أو في شكل لغوي أطول». (محمّد إبراهيم عبادة، ص31).

وتعريف الأستاذ "عباس حسن" للجملة يوافق تعريف "ابن جني" للجملة.

أمّا مهدي المخزومي يعرف الجملة كالتّالي: «فهذا المركب التّام هو موضوع دراسة جديدة يبحث فيه من حيث كونه الأساس الذي ينبني عليه الحديث، وإذا تناول الكلمة بالبحث فإنما يتناولها من حيث هي مؤلّفة مع غيرها، ومن حيث كونها مسند إليه ومسند ومن حيث كونها منسوبا إليها نسبة لا تعبر عن فكرة تامة، لا يصح الاكتفاء بها والسّكوت عليها» (المخزومي مهدي، 1986، ص37) فالجملة عنده هي التي تعبر عن أبسط الصّور الذّهنيّة التّامة التي يتم السّكوت عليها.

كما تطرق إلى دراسة الجملة من الباحثين العرب (زكريا ميشال، 1986، ص23-24) المحدثين نجد "محمّد ابراهيم عبادة" و"ميشال زكريا" و"أحمد المتوكّل" و"عبد القادر الفاسي الفهري" و"إبراهيم أنيس" وغيرهم.

ممّا سبق نخلص إلى:

- تتّفق الجملة من حيث مدلولها اللغوي والاصطلاحي في نقطتين هما:

أ- تشير الجملة إلى الجمع بين الكلمات (الوحدات اللغويّة؛

ب- الجمل مصطلح كلامي؛

-إنّ موقف النّحاة القدامى يشوبه ويميزه الخلط في تحديد واستعمال مصطلح "الجملة"؛

-عبر النّحاة والبلاغيون القدامى عن الجملة بمصطلح الكلام وجعلوها وجهين لعملة واحدة؛

-يعدّ "ابن هشام" أوّل من فرق بين مصطلح الكلام والجملة، مؤكّدا أنّ الكلام أخص منها لأنّ شرطه الإفادة أمّا الجملة فهي أعم من؛

-التّركيب الإسنادي في أبسط صوره (المسند والمسند إليه) سمي الكلام والجملة وهذه الأخيرة أشمل من الكلام فكل كلام جملة وليست كل جملة كلاماً.

4-بنيّة الجملة عند "الجرجاني" في ضوء "نظريّة النّظم:"

4-1 مفهوم النّظم وتطوّره في الدّرس اللغويّ العربيّ القديم:

4-1-1 النّظم لغة: يدور المعنى اللغوي للفظة "النّظم" حول التّأليف والتّنظيم والتّرتيب، وذلك في مختلف المعاجم العربيّة (مجمع اللغة العربيّة، دت، ص933).

جاء في لسان العرب": نظم: النّظم = التّأليف، نظمهُ بينظمهُ نظماً، ونظاماً، ونظمه فانتظم وتنظم. ونظمت اللؤلؤ أي: جمعته في السّلك، والتّنظيم مثله، ومنه نظمت الشّعر ونظمته، ونظم الأمر على المثل.

وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض، فقد نظمته. والنّظم: المنظوم وصف بالمصدر. والنّظم: ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما، واحدته نظمة. ونظم الحنظل: حبّه في صيصانه" (ابن منظور، دت، ص420).

4-1-2 النّظم اصطلاحاً: إنّ المعنى المعجمي لمصطلح النّظم هو التّأليف والتّنظيم والتّرتيب، وانتقل هذا المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي: فارتبطت لفظة "النّظم" -من حيث الدّلالة الاصطلاحيّة-بالبحث في الهيئات النّحويّة للكلما(علواش أمينة، دت ص84-85)، في كل من النّقد والأدب وعلم الجمال، حيث يعكس النّظم الكلامي مزايا ودلالات شعوريّة وجماليّة وفلسفيّة تنتج عن تلك المعاني القائمة في نفس المبدع، فيعبر عن المعاني ببناء الألفاظ وترتيب الكلمات، فيتآلف الكلام و يركب داخل نظام قواعدي لغوي(علواش أمينة،دت، ص85) وفق سياق خاص.

وقد استعملت لفظة "النّظم" في النّقد بمعنى التّأليف، الذي يخضع للفكر، هذا الفكر الذي لا يضع لفظة إزاء أخرى لأنّ كل لفظة تتميز عن لفظة أخرى (عباس إحسان دت ص420). وبالتّالي يتحدّد هذا الاختلاف بحسب السّياق الكلامي.

4-1-3 منطلق النّظم عند «الجرجاني»/ مسألة اللفظ والمعنى: نظريّة النّظم عند "الإمام «الجرجاني»" تعدّ مرحلة متطورة جداً من مراحل الفكر النّقدي العربي، الذي بدأ يتأسّس منذ القرن الثّاني الهجري بفضل جهود "الجاحظ"، "الآمدي" و"ابن قتيبة" وغيرهم ويعد ««الجرجاني»" آخر من طور هذا النّقد الذي يعتمد أساساً على علم اللغة. وقد كان الصّراع قائما حول قضيتين أساسيتين هما: اللفظ والمعنى، فانقسم علماء اللغة إلى فريقين؛ فريق اهتم باللفظ، و فريق آخر اهتم بالمعنى .

وإلى جانب اهتمامه بالمعنى، فقد ركز "« الجرجاني»" على اللفظ، ورأى أنّ جمال اللغة يكمن في التّركيب، ومن هذا المنطلق حاول أن يبيّن أسباب الإعجاز في القرآن – بوصفه قضيّة جدليّة طرحت قبله–من خلال كتابيه" "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز "فقال : " إذا سقنا دليل الإعجاز فقلنا : لولا أنّهم حين سمعوا القرآن، وحين تحدوا إلى معارضته، سمعوا كلاماً لم يسمعوا قط مثله، وأنّهم رزؤوا أنفسهم فأحسّوا بالعجز عن أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه أو يقع قريبا منه : لكان محالاً أن يدعوا معارضته وقد تُحدّوا إليه، وقرعوا فيه، وطولبوا به، وأن يتعرضوا لشبا الأسنة، ويقتحموا موارد الموت (دلائل الاعجاز، دت، ص109). هذا القول مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[سورة الإسراء: الاية 88].

نخلص ممّا سبق إلى أنّ منطلق النّظم عند «الجرجاني»" هو قضيّة الإعجاز القرآني، فما مفهوم النّظم عنده ؟.

4-1-4 مفهوم النّظم ودلالاته عند الإمام الجرجاني:«اهتم النّحاة واللغويون والنّقاد والبلاغيون العرب بمسألة النّظم، منذ عصر تأسيس الدّرس اللغوي، غير أنّ معالجتهم لهذا الموضوع كانت ضيقة، حيث لم يتعمقوا في دراسته، و لم يحددوا أبعاده وشروطه، حتى جاء "عبد القاهر « الجرجاني»" : في القرن الخامس الهجري، فتناول

موضع النّظم بالدّراسة، وبين وظيفته في المجال اللغوي تنظيراً و تطبيقا في مؤلفين هما : "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، إن هذين الكتابين يعدان المصدرين الأساسيين في بيان بلاغة اللغة العربيّة وأسرارها الجماليّة، كما علّل فيهما بلاغة الكلام ومدى تأثيرها في النّفس البشريّة" (دلائل الإعجاز ،دت، ص98).

لقد تجاوز "«الجرجاني»" كلا من مرحلة الدّراسة الوصفيّة التّحليليّة الشّاملة، ومرحلة الدّراسة النّحويّة المتخصصة (دك الباب جعفر،1980، ص 13–14). على الرّغم من أنّه قد استفاد كثيرا من الذين سبقوه، حتى بلغ مرحلة الدّراسة الوظيفيّة، التي تعدّ اتجاها تجديديا في مجال الدّراسات اللغويّة، وقد طبع بها الدّراسة النّحويّة حينما ربط النّحو بالنّظم، وحين استدل على إعجاز القرآن وأشاد بمزيّة النّظم عن اللفظ : "واعلم أنّ هذا –أعني الفرق بين أن تكون المزيّة في اللفظ، وبين أن تكون في النّظم –باب يكثر فيه الغلط فلا تزال ترى مستحسنا قد أخطأ بالإستحسان موضعه، فينحل اللفظ ما ليس له ولا تزال ترى الشّبهة قد دخلت عليك في الكلام قد حسن من لفظه ونظمه فظننت أنّ حسنه ذلك كله للفظ منه دون النّظام "(الجرجاني عبد القاهر، دت، ص106).

إنّ "«الجرجاني»" قد تمكن من وضع أسس لنظريّة لغويّة تعتمد أساسا على النّظم وفق منهج وظيفي يبرز في مباحث كتابه "دلائل الإعجاز". وهذا لا يعني أن «الجرجاني»" قد أقام هذه النّظريّة من العدم، ولكنه أدرك أفكار القدامى وأعاد صقلها واعتمدها أرضيّة لدراسة اللغة وفق منهجه الجديد؛ وقد أقر بفضل العلماء في ذلك حينما قال: " وقد علمت أطباق العلماء على تعظيم شأن النّظم وتفخيم قدره، والتّنويه بذكره وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه ""(الجرجاني عبد القاهر، دت، ص106)، إنّ مفهوم النّظم ودلالاته عند «الجرجاني»"، تختلف عن المفهوم الذي ذهب إليه العلماء من قبله، الذين رأوا أنّ إعجاز القرآن يكمن في نظمه. أهم سمة تميز مفهوم "«الجرجاني»" للنظم أنّه ربطه بالنّحو، وجعلهما متلازمين قال: " النّظم هو توخي معاني النّحو وأحكامه فيما بين الكلام " (الجرجاني عبد القاهر، دت).

نخلص على ضوء ما سبق إلى أنّ دلالات النّظم ترتبط أساساً بالنّحو، ومعاني الإعراب، وباللفظ والمعنى، وبالتّركيب النّحوي.

إنّ دقّة "«الجرجاني»" في ربط النّحو بالمعنى وفق السّياق الكلامي هو ما جعله يعتمد الجملة وحدة لغويّة أساسيّة (دك الباب جعفر،1980، ص115). فتكون الألفاظ بالتّالي، لا معنى لها إذا لم تدخل في السّياق الذي هو بمثابة المحور الأساسي في دراسته للتراكيب اللغويّة. فما هو، إذن، الكلام عنده؟ وما صلته بالجملة؟ وما الوصف البنائي للجملة وكيف تتحدّد دلالتّها؟

4-2 تحديد بنيّة الجملة عند الإمام "الجرجا: "إنّ تحديد المبنى والمعنى غاية الدّرس النّحوي واللغوي العربي، والجملة العربيّة هي النّص، وتحليل الجملة هو تحليل للنص أيضا " فالجملة في عمومها مبنى يحمل معنى تاماً يخضع للتصنيف والتّحليل اللغوي "(عبادة ابراهيم). وقد اهتم النّحاة بالمباني، وركّز البلاغيّون على ظاهرة المعنى أمّا "«الجرجاني»" فقد اعتمد المبنى والمعنى معاً،" الجملة مبنى يحمل معنى تاما يخضع للتصنيف والتّحليل "(عبادة إبراهيم، دت، ص26).

لقد اهتم النّحاة بالمبنى وركز البلاغيون على ظاهرة المعنى، أمّا «الجرجاني» فقد اعتمد المبنى والمعنى معا وعالج النّحويون الجملة واهتموا بها منذ القدم ونجد «الجرجاني» قد طرق باب الجملة وعالجها من الزّاويّة الوظيفيّة، ودرس جميع أنماط الكلام في اللغة العربيّة وفق السّياق اللغوي، وهذا ما يعرف بالتّحليل السّياقي للتركيب بمعنى النّظر إلى الجملة من النّاحيّة الخارجيّة، فالجملة جزء من السّياق وهذا ما يعرف بالجانب الدّلالي.

اعتمد «الجرجاني» المنهج الوظيفي في تحليل اللغة ودراستها ابتداءً من الوحدات باعتبار أداة لتوليد الكلام إلى النّحو الذي يضبط ويحدد التّراكيب اللغويّة إلى إدراك الجانب الدّلالي أي المعاني اللغويّة

4-3 الأسس التي بنى عليها "الجرجاني" نظريته اللغويّة:

4-3-1 الكلام واحتمالات التّأليف بواسطة التّعليق:

4-3-1-1 الكلام: إنّ الفكر والتّفكير والحدث الكلامي عناصر أساسيّة في العمليّة التّواصليّة البلاغيّة يقول «الجرجاني»: "علم أنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع

اللغة لم توضع لتُعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد وهذا علم شريف، وأصل عظيم"(الجرجاني عبد القاهر، دت، ص418).

يرى «الجرجاني» أنّ الكلمة ترتب في النّطق نتيجة ترتب معانيها في النّفس. (الجرجاني عبد القاهر، دت، ص45). ويشترط في الكلام نظما للألفاظ وإفادة الفصاحة والمعنى. وقد ربط النّظم بالكلام وأكد على حسن الكلام بالمعاني لا بالألفاظ وهذا سبب الإعجاز.

فرق بين الحروف المنظومة والكلم المنظومة: "فنظم الحروف هو تواليها في النّطق فقط وليس نظمها بمقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أنّ واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد" (الجرجاني عبد القاهر، دت، ص65). وهذا ما يفسر ظاهرة اعتباطيّة اللغة بين أفراد المجتمع.

4-3-1-2 احتمالات التّأليف بواسطة التّعليق (مكونات الجملة):

-قسم الكلمة إلى ثلاث أقسام: اسم وفعل وحر؛

-تقوم الجملة على علاقة الإسناد.

4-3-2 الكلام وتوخي معاني النّحو: المقصود بالمعنى النّحوي للكلام عند "«الجرجاني»" تلك المعاني التي تحمل نماذج من التّرتيب واختيار الأقسام الشّكليّة في مقابل المعاني القاموسيّة أي أنّ المعنى النّحوي يبرز في معاني البنيّة الشّكليّة، فتكون للكلمات التي تؤلف التّركيب دلالة وظيفيّة نحويّة لا مجرد معاني قاموسيّة. يقول: " ... لا معنى للنظم غير توخي معاني النّحو فيما بين الكلم ..." (الجرجاني عبد القاهر دت ص80).

إنّ تعلّق الألفاظ بعضها ببعض وفق التّرتيب واختيار محدّدين مع مراعاة المعاني النّحويّة تحيلنا على المعنى الشّامل للجملة ويكون ذلك وفق سياق ومقام معينين.

4-2-3 المقام الكلامي ومقتضاه: اعتمد «الجرجاني» المقام ومقتضاه في الكلام وذلك حينما ميز بين خبر المبتدأ، ففي الخبر الابتدائي يكون الخبر نكرة "زيد منطلق"، ويكون معرفة في الخبر غير الابتدائي: "زيد المنطلق" أو "زيد هو المنطلق"(الجرجاني عبد القاهر، د ت، ص176). يتضح أنّ مقتضيات الحال هي

أساس البناء اللغوي وأنّ الفروق بين أنواع ا لتراكيب وأشكالها تكون وفق مقتضى الحال ليس إلاّ كقولنا : (انطلق زيد) و(زيد المنطلق) و(زيد منطلق) فكل جملة من هذه الجمل تتحدّد بمقام سياقي خاص.

4-2-4 السّياق الكلامي في الجملة: السّياق الكلامي هو التّتابع اللفظي المنطوق أو المكتوب، المؤلف من جمل تتكون بدورها من كلمات حيث تتحدد البنيّة الشّكليّة للتراكيب على علاقات سياقيّة كلاميّة متنوعة (بلعيد صالح،1984، ص76) الكلمة تكتسب دلالات مختلفة تبعا للسياق الذي توضع فيه، وحسب موضعها في الكلام ومدى انسجامها مع الكلمات التي تكون قبلها وبعدها. فربط «الجرجاني» بين النّحو والمعنى داخل السّياق الكلامي وأكد أن اللفظة لا معنى لها حتى توظف في السّياق.

عمد «الجرجاني» في دراسته الوظيفيّة إلى دراسة الموقف أو الحال الذي يقال فيه الخبر، وبيان العلاقة بينه وبين السّياق الكلامي الفعلي الذي يدخل فيه الخبر. (دك الباب جعفر، د ت، ص122).

إنّ السّياق الكلامي أساسي في التّركيب اللغوي، ولا بد أن يتماسك السّياق المقامي بالكلام، وذلك بأن نعرف موضع كل كلمة قصد الوصول إلى تحقيق المعنى الدّلالي اللغوي وإدراكه في التّركيب.

4-2-5 المعنى اللغوي/الدّلالي: تتمثل أهميّة المعنى اللغوي في تحقيق التّواصل والإبلاغ بين الأفراد وعليه: "فالدّلالة على الشّيء هي إعلامك السّامع إياه وليس بدليل ما أنت لا تعلم به مدلولا عليه ... إنّما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السّامع غرض المتكلّم ومقصوده (الجرجاني،د ت، ص156) وأشار « الجرجاني» في دراسته للمعنى اللغوي إلى مستويين: المستوى اللفظي والمستوى التّركيبي فالنّظم أساس المعنى .

5-بنيّة الجملة عند "دوسوسير" في ضوء النّظريّة البنيويّة:

5-1 البنيّة والبنيويّة: إنّ الاستعمال الحديث لمصطلح البنيّة، يعني طريقة فنيّة يقام بها مبنى ما أو طريقة تتكيف بها الأجزاء، فينتج عنها ذلك الشّكل المادي أو اللغوي

أو الكلامي. وإنّها ما يكشف عنه التّحليل الدّاخلي لتركيب ما عندما يحلل إلى أجزائه الأوّليّة الجوهريّة والثّانويّة."

أمّا البنيّة (Structure) بوصفها منهجاً – البنيويّة –Structuralisme طريقة وافتراضاً ووسيلة هادفة يستعملها الباحث (زكريا إبراهيم، دت، ص12) " قصد معرفة القوانين التي تحدد بنيّة نسق اللغة، وتتبع حركة تطور تلك القوانين، بوصف اللغة تمثل نسقا عضويا منظما من العلامات (Signes) على حد قول "زكريا إبراهيم" : " لا يمكن أن تكون ثمة بنيّة إلاّ حيث تكون ثمة"(زكريا إبراهيم، د ت، ص44) وعليه فالمنهج البنيوي يحدد اتجاه البناء المتمثل في العلاقات التي تعطي بدورها دلالة للعناصر المترابطة، وتُحدّد هذه الدّلالة بإدراك قيمة العناصر اللغويّة، وبالنّظر إلى موضعها داخل مجموع العلاقات المنتظمة.

وتتجلى أهميّة البنيويّة، في كونها تمكن المفكر وفق منهجيّة علميّة واسعة من التّوصل إلى الإجابة عن كل تساؤلاته، فيحدد بالتّالي عمق المعرفة، وفي هذا يقول "زكريا إبراهيم" : " البنيّة كلمة واسعة، فضفاضة، لا تكاد تعني شيئا لأنها تعني كل شيء (زكريا إبراهيم، د ت، ص8) وهذا ما أدّى إلى سعة توظيفها علمياً.

ولقد استعملت البنيويّة بوصفها منهجا للدراسة والتّحليل في معظم حقول المعرفة؛ الدّراسات الأنثروبولوجيّة، والإبستمولوجيا (مبحث العلوم)، وتاريخ الثّقافات، وفي التّحليل النّفسي، وفي علم اللغة. وغدت البنيويّة، إذن، مفهوما فلسفيا، يتداول في شتى مجالات المعرفة والعلوم، أصبحت مفتاح العلوم جميعها، بما في ذلك علم اللغة والنّقد الأدبي"(زكريا إبراهيم، د ت، ص7).

إنّ الغرض البنيوي ثبتت خصوبته في مجال فهم وإدراك معظم الظّواهر اللغويّة والأنثربولوجيّة(زكريا إبراهيم، د ت، ص10) وما يهمنا من هذه الاستعمالات المذكورة خدمتها للجانب اللغوي بوصف اللغة نظاما تركيبيا بنائيا، فاللغة ليست عبارة عن مجموعة أو قضيّة من العناصر، بل هي نظام مهيكل، وكل متماسك ومتضامن فالموقع البنيوي يحدد لكل عنصر قيمته ووظيفته(ستيفين أولمان، د ت، ص125).

ولم يوظف " فرديناند دي سوسير (F. de SauSSure) "(الرّاجحي عبده 1986 ص24-32) "مصطلح "البنيّة"، بل عبر عنها بالنّظام والنّسق (بياجيه جان 1982 ص 64)، حين تعرض لمفهوم اللغة، قال: "إنّها نظام أدلة متميزة، تقابل أفكاراً متمايزة (دوسوسير فرديناند، 1986، ص10). بمعنى أنّ اللغة نظام بنائي خاص لعلامات أو دلائل لغويّة. وبهذا تكون البنيويّة قد تعدّت الأبحاث التّطوريّة التي ركزت على رصد الظّواهر منعزلة، وأخذت بطريقة المجموعات للنظام اللغوي المتزامن على حد قول "جان بياجيه ":(Piaget Jean) "اللغة مصدر لبنيات مهمة من ناحيّة عمرها بشكل خاص (إنّها تفوق العلوم بكثير) ومن ناحيّة شموليتها وقدرتها"(بياجيه جان، د ت، ص7).

5-2 الأسس التي بنى عليها «دوسوسير» نظريته اللغويّة: ممّا لا شك فيه أنّ كتاب "«دوسوسير»" "محاضرات في اللسانيات العامّة" قد بلغ قيمة علميّة كبيرة وساعد على تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين، وأمست اللسانيات الآنيّة الوصفيّة تعني بوصف اللغات وتحليلها كما هي موجودة في نقطة معينة من الزّمن وبالخصوص في الزّمن الحاضر.

ومن الأسس التي بنى عليها "«دوسوسير»" هي الثّنائيات اللغويّة مثل (اللغة والكلام)، (المحور التّركيبي والاستبدالي)، (اللسانيات الآنيّة والزّمانيّة)، (الدّال والمدلول)، (اللسانيات الدّاخليّة واللسانيات الخارجيّة).

5-3 البنيّة والنّظام عند «دوسوسير»: لقد أوضح «دوسوسير» مفهوم النّظام للوحدات اللسانيّة ومفهوم القيم، وهكذا يكون صاحب الفضل في وضع الأسس الأولى لدراسة اللغة دراسة بنيويّة، تهدف إلى استنباط القواعد الخاصّة بتأليف وحدات ذلك النّظام وبتنسيقها، ويعتمد أساسا على مبدأ الاختيار والانتقاء كطريقة عمل، كما تقوم على مبدأ التّركيب أي تركيب الوحدات الصّوتيّة مع بعضها البعض.

عبّر «دوسوسير» عن فكرة النّظام بمصطلح النّسق" فهو كل تركيب يحصل في سلسلة الحديث والكلام".

وقد عرف اللغة بكونها نظاما، والنّظام مجموعة من الوحدات تقوم بينها عدد من العلاقات تربط بعضها ببعض، فإذا تغير عنصر كان لذلك التّغير أثر على النّظام كاملا وشبهه بلعبة الشّطرنج.

تنتظم الكلمات في تتابع وهي سلسلة من الأصوات المنتظمة المتتابعة تتبعا خطيا وهذه الكلمات مرتبط بعضها ببعض بعلاقات يحددها النّظام اللغوي في كل لغة من اللغات، وهي علاقات أفقيّة تركيبيّة.

أكد «دوسوسير» أنّ اللغة بنيّة داخليّة تبنى وفق مستويات التّحليل اللغوي ولها أبعاد خارجيّة (سياسيّة وبشريّة وثقافيّة واجتماعيّة ...) يقول: «يجب أن يكون الانطلاق للوهلة الأولى من اللغة واتخاذها معيارا للظواهر اللغويّة الأخرى كافة» (دوسوسير فرديناند،دت، ص10).

إنّ اللغة في نظر «دوسوسير» مستودع من العلامات، والعلامة وحدة أساسيّة في عمليّة التّواصل بين أفراد مجتمع معين.

ويرى «إنّ العلامة اللغويّة لا تربط شيئا باسم بل تصور بصورة سمعيّة» (دوسوسير فرديناند، د ت، ص10). ومن خصائص العلامة أو الدليل اللغوي ذكر الاعتباطيّة والخطيّة، ثبوت العلامة وتغيرها، القيمة اللغويّة.

5-4 نقاط التّقاطع المنهجي بين "«دوسوسير»" و"الجرجاني":

-أكد "الجرجاني" على قضيّة النّظم التي تتعلق أساسا بالتّأليف بين الألفاظ لخلق المعاني؛

-تمكن "الجرجاني" من وضع أسس لنظريّة لغويّة تعتمد على النّظم وفق منهجي وظيفي، كما تمكن «دوسوسير» من وضع أسس لنظريّة لسانيّة بنيويّة تعتمد البنيّة والنّظام وفق منهج وصفي آني؛

-أكد الجرجاني على قضيّة النّظم والتّأليف وهذا ما يقابل فكرة البنيّة والنّظام عند «دوسوسير»؛

-أشار "الجرجاني" إلى ضرورة توخي معاني النّحو بين الكلم بهدف إبراز معاني البنيّة الشّكليّة وتعلق بعضها ببعض وهذا ما يقابل فكرة القيمة اللغويّة للدليل اللغوي عند «دوسوسير»؛

-ركز الجرجاني على المعنى اللغوي الذي يتكون من المعنى المعجمي (المفردات) والمعاني النّحويّة (تعليق وترابط) والمعنى الدّلالي أي الإبانة عما في النّفس أي تمام الدّلالة، وهذا المعاني الثّلاثة تطابق ما يعرف عند «دوسوسير» بمستويات التّحليل اللغوي؛.

-إنّ مفردات اللغة عند "الجرجاني" تارة تواضع وتارة أخرى إلهام، وهذا ما يقابل اعتباطيّة العلامة اللغويّة عند «دوسوسير»؛

-إنّ منهج "الجرجاني" ذو نزعة عقليّة وتفكير منطقي وأسلوب منهجي، فالتّراث العربي ودلائل الإعجاز على الخصوص حافل بالأفكار اللسانيّة الحديثة، فقد سبق "الجرجاني" الفكر الغربيّ في معرفة التّركيب في نظريته النّظم، أي ما يعرفه عند الغربيين Syntaxe (علم التّركيب) الذي يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة وحركة العناصر، إذن فالنّظم = التّركيب= البنيّة؛

-تعدّ اللغة ظاهرة اجتماعيّة لافرديّة وُضعت من أجل التّواصل هذا ما نجده عند «دوسوسير» الذي عد اللغة ظاهرة اجتماعيّة والكلام فرد؛.

-إنّ مصطلح تعلق الألفاظ بعضها ببعض يتقاطع مع ثنائيّة «دوسوسير» المحور التّركيبي والمحور الاستبدالي على أساس أن الكلمة لا تدرك بمفردها بل يكمن دورها من خلال مكانها (رتبتها) داخل التّركيب؛

-إنّ فكرة الاعتباطيّة أيضا تظهر في علاقة اللفظ بالمعنى يقول «لو أنّ واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب، لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد»؛

-إنّ المنهج اللغوي العربي القديم لم يكن قاصرا -رغم البعد الزّمني بين الجهود العربيّة القديمة والجهود الغربيّة الحديثة-وبهذا نضم كلمتنا إلى من قالوا بوجود الكثير من النّظريات في تراثنا النّحوي اللغوي تضاهي أحدث النّظريات اللغويّة اللسانيّة.

«إنّ نظريّة "الجرجاني" التي تضمنها كتابه الدّلائل الاعجاز هي نظريّة لغويّة تطرقت إلى فلسفة اللغة وبيان ارتباطها بالتّفكير، نشأة، للغة ووظيفتها الأساسيّة كوسيلة لاتصال النّاس ببعضها، إنه قد جاء بنظريّة لغويّة متكاملة تضاهي أحدث النّظريات في النّصف الثّاني من القرن العشرين»(دك الباب جعفر، د ت، ص146).

6-واقع البحث الألسني في العالم العربي وعقباته: ما يلاحظ هو تأخّر في البحث الالسّني العربي (نخلف الفكر الالسّني في العالم العربي) وهذا لا يعني بالضّرورة انعدام البحث، فهناك مراكز ومؤسسات علميّة تبعث لهذا الغرض متخصصين في العالم العربي لأخذ مناهج هذا العلم والاستفادة من النّظريات اللسانيّة، فما أبرز العقبات في البحث الالسّني العربي ؟

إنّ أبرز العقبات في البحث الالسّني العربي تتمثل في:

1-اهتمام الباحث اللغوي العربي بالمسائل الصّوتيّة بمختلف فروعها (الفونتيك الفونولوجيا) على أساس أنّ العرب القدامى قد كان لهم اجتهاد كبير في المجال الصّوتي (عمليّة إعادة واجترار).

2-المعركة القائمة بين المنهج المعياري والمنهج الوصفي وما ساد من خلط في استخدامها.

3-عدم اعطاء اللغة العربيّة مكانتها التي تليق بها.

«كل معطيات علم اللغة التي قدمها "«دوسوسير»" ليست فتحا جديدا وكان يجب أن تكون كذلك بالنّسبة للمثقف العربي لو أنه في حماسه للتحديث وانبهاره بمنجزات العقل الغربي لم يتجاهل تراثه العربي» (عبد العزيز حمودة، 1978، ص115).

7-بنيّة الجملة عند الدّكتور الحاج الصّالح في ضوء النّظريّة الخليليّة الحديثة: لقد اطلع الدّكتور "عبد الرّحمن الحاج صالح" على الدّرس اللساني العربي القديم وأقر بأصالة التّراث اللغوي اللساني عند القدامى وعلى رأسهم العلامة "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وسيبويه، فتعمق في فهم تلك الجهود ثم وازن بين التّراث اللغوي العربي واللسانيات الغربيّة وبهذا تمكن من تأصيل نظريّة لسانيّة عربيّة عرفت بالمدرسة الخليليّة نسبة "للخليل بن أحمد الفراهيدي" نابغة العرب، ومخترع العروض ومبتكر المعجمات

يقول "د.التّواتي بن التّواتي "المدرسة الخليليّة التي نمت وترعرعت في التّراث العربي الأصيل، وصاحبها أثبت أنه في تراثنا مفاهيم لسانيّة رائدة تفوق ما عند الغير في كثير من الأحيان ويقول بكل اطمئنان إنّ رائد هذه المدرسة لا يقل علما عن "مارتيني" و"تشومسكي" إذ إنه مطلع بما عند أقطاب المدارس فضلا عن اطلاعه الواسع عن التّراث العربي الأصيل "(التّواتي بن التّواتي، 2008، ص 7).

يقول الدّكتور"عبد الرّحمن الحاج صالح" لا بد من الرّجوع إلى التّراث العلمي العربي الأصيل ... والنّظر فيما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصّدر الأوّل من الإسلام حتى القرن الرّابع الهجري وتفهم ما قالوه من الحقائق العلميّة التي قلما توصل إلى مثلها كل من جاء قبلهم من علماء الهنود واليونان ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب".

أمّا عن مكانة هذه المدرسة الخليليّة يقول أحد تلامذته "ولإحلال المدرسة الخليليّة محلها من النّزاعات الحديثة في العالم العربي ... وكوصف نقدي هي في الحقيقة نظريّة ثانيّة (métathéorie) بالنّسبة للنظريّة الخليليّة وأمّا استغلالها أو بالأصح امكانيّة استغلالها الآن فحاصل بالفعل" (التّواتي بن التّواتي، 2008، ص89).

يقول الدّكتور "عبد الرّحمن الحاج صالح" وهكذا فإنّ اللسانيات الخليليّة الحديثة تعدّ نظريّة عربيّة جديدة، لها أسسها المعرفيّة ومفاهيمها الأساسيّة وإجراءاتها في التّحليل وأهدافها العلميّة ومجالات تطبيقها ونتائجها فنرجو أن تتكاثف الجهود حولها بحثا وتدريسا واعلاما"(عبد الرّحمان الحاج صالح، 1966، ص85).

7-1 موازنة بين "عبد الرّحمن الحاج صالح" و«دوسوسير»: لقد أدرج الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح مسائل تخص النّظريّة الخليليّة أهمّها:

-يختلف النّحو العربي الأصيل عن اللسانيات الغربيّة الحديثة في المصطلحات التّاليّة:

-الموضع في مستوى التّركيب وهذا يقابل مصطلح اللسان؛

-الموضع في مستوى اللفظ؛.

-الموضع في مستوى الكلم.

يقول الحاج صالح:" إنّ المثال عند النّحاة العرب هو مجموعة من المواضيع الاعتباريّة مرتبة ترتيبا معينا يدخل في بعضها وقد تخلو منها العناصر الأصليّة وفي بعضها الأخر الزّائدة، ولا ينحصر المثال في مستوى الكلم (الأوزان) بل يوجد في كل مستويات اللغة بما فيها التّراكيب وما فوقها"

وأمّا مفهوم الموضع والمثال (والوزن بالنّسبة للكلمة) فلا يوجد مثلها في اللسانيات الغربيّة إطلاقا، حتى الآن والسّبب في ذلك أنّ التّحليل عندهم يقتصر فقط على ظاهر الكلام أي على اللفظ المسموع هو التّأثر عند البنيويين. (عبد الرّحمان الحاج صالح 2007، ص39)

.–موازنة "الحاج صالح" بين النّحو العربي والبنيويّة:

نقاط الاتفاق: تشتركان في موضوع الدّراسة وهو اللغة في ذاتها، فكلاهما يحلل اللغة يبحث عن كيفيّة تركيبها.

–ينطلقان من واقع اللغة كظاهرة؛

– اللغة عندهما أداة التّبليغ وتلك هي أهم وظائفها (دورة التّخاطب)؛

نقاط الاختلاف: –النّحو العربي معياري والبنيويّة وصفيّة؛

–البنيّة عند علماء الغرب والوضع والاستعمال عندهم.

7–2 آفاق النّظريّة الخليليّة الحديثة: لقد تحدث الدّكتور "الحاج صالح" عن مستقبل البحوث العلميّة في اللغة العربيّة وضرورة استثمار التّراث الخليلي يقول: "ازدهرت البحوث اللغويّة الحديثة بفضل ما وضعه العلماء من نظريات عميقة حول اللغة وبفضل ما تحاوله هذه البحوث من استثمار واسع لهذه النّظريات ومستقبل كل البحوث اللغويّة مرهون في اعتقادنا بمدى نجاح هذا الاستثمار بالنّسبة لكل لغة" واستثمار هذه الأقوال العلميّة في عصرنا هذا فميدان واسع جدا، وتجرى في المركز الذي اتشرف بتسيير بحوث في استغلال مفهوم المثال وماله علاقة به في وضع طرائق تعليميّة تكون أنجح وفي الميدان التّكنولوجي فأحوج النّاس إلى نظريّة لغويّة تستجيب لمتطلبات الصّياغة الرّياضيّة هم الباحثون في علم الحواسيب"(عبد الرّحمان الحاج صالح، 1996، ص44).

7-3 أهم انشغالات اللسانيات الخليليّة:

-الجملة في كتاب سيبوي؛

-أثر اللسانيات في النّهوض بمستوى مدرسي اللغة العربيّة؛

-علم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجيّة الدّرس اللغوي؛

-المشروع الحضاري المتمثل في "الذّخيرة اللغويّة" وهو بنك للمعلومات تخزن فيه كنوز ومصادر التّراث العلمي واللغوي العربي.

7-4 المفاهيم الأساسيّة للمدرسة الخليليّة: ومن أهم المفاهيم الأساسيّة للمدرسة الخليليّة المعتمدة في تحليلهم اللغة نجد:

1-اللسان وضع واستعمال، والمقصود بالوضع تخصيص الشّيء بالشّيء.

2-مفهوم الاستقامة، مفهوم الانفصال والابتداء، مفهوم المثال، مفهوما الموضع والعلامة العدميّة، مفهوم العامل، مفهوم القياس، مفهوم الأصل والفرع.

الوضع والاستعمال:

اللغة: هي قبل كل شيء استعمال، ثم استعمال النّاطقين بها أي

الوضع: وهو نظام منسجم من الأدلة الصّوتيّة ذوات المعاني وتخصيص الشّيء بالشّيء.

الاستعمال: نظام من الأدلة الموضوعة لغرض التّبليغ واستعمال فعلي لهذا النّظام في واقع الخطاب.

فالكلام هو تأديّة للقانون الموضوع وهو اللسان وبالتّالي فهو استعمال أي: إجراء العمل هذا القانون الذي هو الوضع.

- **الاستقامة:** ويقصد بها استقامة الكلام
- **مفهوم الموضع والعلامة العدميّة :** يقول : "هي عند العرب أصل مهم من أصولها المنهجيّة لا بالنّسبة إلى اللغة فقط، بل بالنّسبة إلى جميع العلوم الدّقيقة والتّجريبيّة وهي مفهوم رياضي ونرجح أن "الخليل" هو أول من استخرجه من مفهوم الصّفر بعد أن أدرك دوره في علم العدد فطبقه على علوم العربيّة وبالخصوص النّحو والعروض"(التّواتي بن التّواتي، 2008، ص92-93).

- **مفهوم المثال:** لا مقابل له في اللسانيات الغربيّة.
- **الحد الصّوري الإجرائي:** الذي به تحدد العمليات المحدثة للوحدات.
- مفهوم العامل وهو بيان الارتباط والتّعلق بين أجزاء التّركيب والأثر الذي ينشأ عن هذا التّعلق "إنّ العامل مفهوم ذهني لتفسير ظاهرة لغويّة هي علاقة كلمة بكلمة داخل الجملة في هذه العلاقة ثم تضيف الكلمات إلى عوامل ومعمولات أو متأثرات.
- **القياس:** عمليّة عقليّة فطريّة أثبت البحث الحديث في ميدان اللغويات أنّه اكتساب اللغة يقوم على أساسها والقياس عمليّة ابداعيّة يمد اللغة صيغا وتراكيب لم تكن موجودة قبل وهو ما يجعلها (أي اللغة) حين تواكب التّطور.
- **مفهوم الأصل والفرع:** مفهوم يبنى عليه النّحو العربي وعلوم العربيّة كلها وهو مرتبط بالحدود الاجرائيّة أي المُثُل (الأنماط).

7-5 أسس تحليل بنيّة الجملة وفق النّظريّة الخليليّة الحديثة: لقد أعاد الدّكتور "الحاج صالح" صياغة أطروحة الدّكتوراه الخاصّة به –اللسانيات العربيّة واللسانيات الغربيّة –في قالب رياضي حديث، ويقوم عل استثمارها مجموعة من الباحثين في مركز البحوث العلميّة والتّقنيّة بالجزائر بهدف تطوير وترقيّة اللغة العربيّة وترتكز هذه النّظريّة على أسس(عبد الرّحمان الحاج صالح،1971، ص55) هي:

1- تعدّ اللغة نظاما تحليليا تركيبيا: يقوم على ما يسمى بالحدود الإجرائيّة.

2- مفهوم المدونة المفتوحة: المعطيات اللغويّة عند الباحث اللغوي لا تختلف عن المعطيات الخاصّة بالباحث البيولوجي أو الفيزيائي وبالرّجوع إلى الواقع تصبح كل المعطيات وتتحقق.

3- مفهوم البنيّة الخليليّة: يتجاوز مفهوم البنيّة الوصفيّة يقول: البنيّة هاهنا هي نتيجة لتركيب بين الفئة والتّرتيب أي بين أفراد جنس ونظرائها من أجناس أخرى حسب تعبير القدامى. (مجلّة اللسانيات،2003، ص12).

4- تفرق بين البنيّة النّحويّة وبين وضع اللغة (الكود): من جهة وبين استعمال المستعملين لهما في أفعال خطابيّة معينة من جهة أخرى.

5- قسمت اللغة إلى ثلاثة مستويات :

أ- المستوى الأدنى: هو الكلمة وتتصل بالأصل (الجذر) والصّيغة (الوزن) ب- المستوى الوسيط: هو الوحدة المعجميّة.

ج- المستوى الأعلى: هو الوحدة التّركيبيّة (الجملة الاسميّة + الفعليّة)

.8 خاتمة : لحلول المقترحة لتطوير البحث الالسّني العربي الحديث

• الدّعوة إلى إدخال نظريّة الإمام الجرجاني اللغويّة في مجال التّدريس الجامعي يقول الدّكتور دك الباب جعفر:

«ندعو إلى إدخال نظريّة الإمام الجرجاني اللغويّة مع تحديد موقعها الهام في علم اللغة، العام الحديث، كمقرر أساسي يدرس في كليات الآداب في الجامعة العربيّة في أقسام اللغة العربيّة وفي أقسام اللغات الأجنبيّة». (دك الباب جعفر، دت، ص82)؛

• ضرورة إكمال مسيرة مشوار رائد اللسانيات العربيّة الدّكتور "عبد الرّحمن الحاج صالح " رحمه الله الذي كان يطمح إلى ربط الماضي بالحاضر يقول: "إنّ اللسانيات الخليلة الحديثة تعدّ نظريّة عربيّة جديدة.. نرجو أن تتكاثف الجهود حولها بحثا وتدرسا وإعلاما" (عبد الرّحمان الحاج صالح، 2007، ص85)؛

• فتح جسر التّواصل الجاد بين الباحثين اللغويين في مختلف البلدان العربيّة من جهة ومع دول العالم الغربي من جهة أخرى قصد فتح مجال تلاقح فكري لغوي في مجالات اللغة والبحث الالسّني؛

• تشجيع تكثيف القراءات الجديدة التّجديديّة لتراثنا اللغوي العربي في ضوء النّظريات العلميّة الحديثة يقول الدّكتور "الحاج صالح" : «أعرب عن تفاؤلي وذلك من خلال ربط الهويّة واللغة من جهة ومن بين الرّقي العلمي، فلا ينبغي الاشمئزاز من العربيّة والقول ما ذا تأتي به العربيّة؟» ينبغي أن تستفيد مما تنقله اللغة لكن لا بد أن ننتج، أن نجتهد وهذا لا يتأتى إلا بحريّة التّفكير التي تكون حدودها في الآخر، والعيب الذي نمتاز به نحن في الجزائر والوطن العربي أننا ننتظر أن يأتي إلينا العلم، والعلم ينبغي أن نذهب إليه» (عبد الرّحمان الحاج صالح، 2007، ص105)؛

• إنّ مبادرة المؤتمر الدّولي للغة العربيّة الذي نظمه المجلس الدّولي للغة العربيّة بالتّعاون مع المنظمات العربيّة والدّوليّة برعاية صاحب السّمو الشّيخ محمّد بن راشد آل مكتوم تعدّ ركيزة عملاقة لدعم اللغة العربيّة والنّهوض بها.

قائمة المراجع:

1 الجرجاني عبد القاهر. دلائل الإعجاز. مصر. دت.

2الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح وتعليق رشيد رضا، محمّد (مقدّمة)، دت.

3. ابن جني .الخصائص .تحق: محمّد علي النّجار. لبنان: دار الكتاب العربي بيروت. ط2. (د.ت)، ج1.

4. ابن عقيل، بهاء الدّين عبد الله. شرح ابن عقيل على الألفيّة. تحق: محمّد محي الدّين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع. ط16.1997 ج1.

5. ابن مالك .تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد .تحق: محمّد كامل بركات. بيروت: دار الكتاب العربي للطباعة والنّشر .1967، ص3، ص158. ينظر: ابن مالك. ألفيّة ابن مالك في النّحو والصّرف. الجزائر: مطبعة دحلب. 1992.

6. ابن منظور، لسان العرب، ط1، المجلد 1، ج4، دار صادر بيروت. 1992 مادة "بنى."

7. ابن هشام. أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، تحق، مصطفى السّقا وآخرون. لبنان: دار إحياء التّراث العربي،1980، المجلد 1، دت.

8. ابن يعيش. شرح المفصل. بيروت: عالم الكتب ج1، د. ت.

9. أبو محمّد عبد الله جمال الدّين. شرح شذور الذّهب. بيروت: المكتبة العصريّة (د.ت)

10.إحسان. تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، ط4، دار الثّقافة، بيروت، لبنان 1983.

.11الأصفهاني، الرّاغب. المفردات في غريب القرآن. تحق: محمّد تيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة، (د.ت).

.12البدراوي، زهران، عالم اللغة عبد «الجرجاني» "المفتن في العربيّة ونحوها" دت.

.13التّواتي بن التّواتي. المدارس اللسانيّة في العصر الحديث ومناهجها في البحث دار الوعي للنشر والتّوزيع الجزائر، ط1، 2008.

.14الخولي، محمّد علي، قوعد تحويلة للغة العربيّة، الرّياض: المملكة العربيّة السّعوديّة، دار المريخ، ط1، 1981.

.15الرّاجحي عبده. النّحو العربي والدّرس الحديث، دار النّهضة العربيّة، ط1 1986.

.16الزّجاجي. الإيضاح في علل النّحو. تحق: مازن المبارك. بيروت: دار النّفائس. ط5، 1986.

.17الزّمخشري. أساس البلاغة. تحق: عبد الرّحيم محمود. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنّشر. (د.ت).

.18السّامرائي ابراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، ط1، 1980.

.19الشّاذلي حسنين، المركب الاسنادي وأنماطه، بيروت: دار المعرفة الجامعيّة ط1، 1990.

.20العسكري، أبو هلال، الصّناعتين، المكتبة العصريّة، بيروت. دت.

.21العمدة 75/1 ذكره إحسان، عباس. تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، ط2، دار الثّقافة، بيروت. 1978.

.22الفكر اللساني عند الدّكتور عبد الرّحمان الحاج صالح، من خلال. أ/منصور ميلود. مجلة العلوم اللسانيّة، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد السّابع، 2005.

.23الفهري، عبد القادر الفاسي. اللسانيات واللغة العربيّة. لبنان، فرنسا: منشورات عويدات، بيروت، باريس. 1986، والمغرب: وتوبقال للنشر الدّار البيضاء، 1985.

.24 الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج4، دار العلم للجميع، بيروت (لبنان). د.ت.

.25 الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مصحح على نسخة محمّد محمود التّركزي الشّنقيطي، وبحاشيته تعليق نصر الهوريني. دمشق: مكتبة النّوري. (د.ت).

.26 المبرد. المقتضب. تحق: عبد الخالق عظيمة، بيروت: عالم الكتب، ج 1 دت

.27 المتوكل، أحمد. الوظيفة والبنيّة مقاربات وظيفيّة لبعض قضايا التّركيب في اللغة العربيّة. الرّباط: منشورات عكاظ، 1993.

.28 المخزومي، مهدي. في النّحو العربي نقد وتوجيه. بيروت: دار الرّائد العربي. ط2، 1986.

.29 المسدي، عبد السّلام. اللسانيات وأسسها المعرفيّة، ط1، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، والدّار التّونسيّة للنشر، تونس. 1986.

.30 المنجد في اللغة والأعلام .بيروت: دار الشّروق. ط31،1991

.31 أنيس ابرهيم. من أسرارا اللغة، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، دار المريخ ط1، 1981.

.32 بلعيد صالح التّراكيب النّحويّة وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر «الجرجاني» د. م. ج الجزائر. 1984.

.33 بن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق وتفصيل محمّد محي الدّين عبد الحميد. لبنان: دار الكتاب العربي، بيروت. ج2 ص374. للتوسع ينظر:- ابن هشام. شرح شذور الذّهب، المجلد 1.

.34 بياجيه جان، البنيويّة. تر: عارف منيمة وبشير أوبري، منشورات عويدات بيروت، باريس، ط3، 1982.

.35 حسن، عباس. النّحو الوافي. القاهرة: دار المعارف ج4. 1983.

.36 حماسة عبد اللطيف. العلامة الاعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث. ط1. القاهرة: دار غريب. 2001.

.37 دك الباب، جعفر. الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني. ط1 مطبعة الجليل، دمشق. 1980.

.38 دوسوسير، فرديناند. محاضرات في الالسّنيّة العامة. تر: يوسف غازي ومجيد النّصر، ط1، المؤسّسة الجزائريّة للطباعة، 1986.

.39 زكريا، ابراهيم، مشكلة البنيّة، ط1، دار مصر للطباعة، د.ت.

.40 ستيفين أولمان دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، ط1، مكتبة الشّباب مصر، 1975.

.41 سيبويه. الكتاب. تحق: عبد السّلام هارون. ط3، بيروت: عالم الكتب ج1 1983.

.42 عبادة، محمّد إبراهيم. الجملة العربيّة. مصر: منشأة المعارف الإسكندريّة جلال حزي وشركاه. 1988.

.43 عبد الرّحمان الحاج صالح، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد 10، 1996.

.44 عبد الرّحمان الحاج صالح، النّظريّة الخليلة الحديثة: مفاهيم الأساسيّة" كراسات المركز، العدد 4، 2007.

.45 عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، الجزء الثّاني، موفم للنشر، الجزائر 2007.

.46 عبد الرّحمان الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات معهد العلوم اللسانيّة والصّوتيّة، الجزائر، العدد الأوّل، 1971.

.47 عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة نحو نظريّة نقديّة عربيّة، سلسلة عالم المعرفة. العدد 272، الكويت، 1978.

.48 علواش، أمينة. النّظريّة البلاغيّة عند عبد القاهر «الجرجاني» والأسلوبيّة رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1998.

.49 فضل، صلاح. نظريّة البنائيّة في النّقد الأدبي، ط2، مكتبة الأنجلو المصريّة ب.ت.

.50 زكريا، ميشال. الالسّنيّة التّوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللغة العربيّة (الجملة البسيطة)، ط2، لبنان: المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت 1986.

.51 مجلة اللسانيات، العدد الثّامن، 2003.

.52 مجمع اللغة العربيّة. المعجم الوسيط. ط1، تركيا: دار الدّعوة إستا نبول. 1989.

.53 مصطفى ابراهيم، إحياء النّحو، ط1، القاهرة: مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر 1959.